

إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد

إعداد

د . دلال بنت مخلد الحربي

ملخص البحث :

أسهمت المرأة المسلمة عبر العصور الإسلامية المختلفة في فعل الخير وكان أبرز أفعالها المساهمة بنصيب طيب في الوقف الذي يعدّ من محاسن الإسلام ، وقد حفلت المصادر التاريخية بأسماء نساء كان لهن دور بارز في هذا الجانب في جوانبه المتعددة ، وفي العصر الحديث أسهمت مجموعة من النساء في شبه الجزيرة العربية وفي منطقة نجد على وجه الخصوص في فعل الخير عن طريق الوقف ، وكان لوقف الكتب نصيب طيب إذ حرصت المرأة أن تتيح بما تيسر لها من مال بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة لتكون بين أيدي طلبة العلم الذين لم يكن وضعهم المادي يساعدهم على الوصول إلى مثل تلك الكتب .

وكان أقدم النصوص التي توضح إسهامها في هذا المجال وقفية كتاب القواعد وتحرير الفوائد لأبن رجب الحنبلي الذي أوقفته أم علي بن عشري عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م .

وخلال الفترة الزمنية اللاحقة ظهرت أسماء كثيرة توضح اهتمام النساء بوقف الكتب وقد أسهم توجههن هذا في شيوع الكتاب وتوفيره لشريحة من المجتمع هم طلبة العلم ، وهو ما يؤكد حرصهن ورعايتهن للحركة العلمية في منطقتهم ، وكان لمجموعة من أميرات آل سعود دور مميز في الوقف الخيري عن طريق توفير الكتب لطلبة العلم ومن أبرز الأسماء نورة بنت الإمام فيصل بن تركي ، وأختها الجوهرة بنت الإمام فيصل بن تركي ، والجوهرة بنت الإمام تركي بن عبد الله ، وأختها سارة ومنيرة بنت مشاري بن حسن آل سعود زوجة الإمام فيصل ابن تركي ، والجوهرة بنت مساعد بن جلوي .

كذلك كان لنساء الأسر الشهيرة في نجد إسهامهن ومشاركتهن في هذا الجانب، فهناك سارة بنت الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب ، والجوهرة بنت عبدالعزيز بن سليمان بن عبدالوهاب ، وحصاة بنت أحمد بن محمد السديري . ولم يقتصر الإسهام في وقف الكتب في منطقة نجد على هؤلاء بل تعداه إلى نساء أخريات من طبقات مختلفة . وفي غير مدينة الرياض أسهمت نساء أخريات في الوقف: ففي حائل أسهم عدد كبير من النساء في دعم الحركة العلمية فيها ، فوقفن الكتب طلباً للأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى ومساندة لطلبة العلم كي يتوفر لهم ما يساعدهم على توسيع مداركهم ويضيف إلى معلوماتهم ، ومن أبرز الواقفات نساء من أسرة آل رشيد وطريفه بنت عبيد بن علي بن رشيد ، ومن غير أسرة آل رشيد فاطمة بنت زامل بن سبهان ، ورقية وشما ابنتا عوض بن محمد . وقد اعتمدت الباحثة في إعداد هذا البحث على نصوص الوقفيات المثبتة على بعض الكتب، وفهارس لبعض المكتبات الخاصة .

مقدمة :

حظي موضوع الوقف في الآونة الأخيرة بعناية ملحوظة من قبل الباحثين والدارسين وتجاوز الاهتمام به حدود تناول الأحكام الفقهية والمسائل الشرعية المتعلقة به إلى الحديث عن دوره الثقافي والاجتماعي في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية ، ولعل من أبرز الدلائل على ذلك هذه الندوة المباركة التي خصصت لمعالجة موضوعات تعالج أموراً تتعلق بوقف الكتب والمكتبات في المملكة العربية السعودية ، وكان لي شرف المشاركة في هذه الندوة بهذا الموضوع الذي يركز على إسهام المرأة في وقف الكتب حيث عالجت فيه جانباً محدداً يتصل بما قدمته المرأة في جزء من أجزاء المملكة وجاء اختياري للموضوع بحدوده الضيقة بسبب عنايتي بالكتابة عن المرأة في منطقة نجد منذ القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وإلى الفترة الراهنة.

ولما كان الحديث يتطلب تمهيداً يوضح التواصل بين الحاضر والماضي فقد عمدت إلى تقديم نماذج توضح إسهام المرأة المسلمة في التاريخ الإسلامي في مجال الوقف لإظهار قدم مشاركتها وأنها أسهمت منذ بداية التاريخ الإسلامي في دعم مجتمعها عن طريقه.

معنى الوقف:

قبل أن أخوض في إظهار مشاركة المرأة وإسهامها في الوقف قديماً و إسهام المرأة المعاصرة فيه أعرض في إيجاز لبعض ما يتصل بمفاهيمه العامة ، فالوقف كما

يذكر محمد زايد الابياني له معنيان ، معنى في اللغة ومعنى في الاصطلاح ، فمعناه في اللغة: الحبس مطلقاً سواء كان حسياً أو معنوياً وهو مصدر وقفت بمعنى حبست. ومعناه في الاصطلاح: حبس العين عن تملكها لأحد والتصديق بالمنفعة^(١). ولجأ باحث معاصر إلى اختيار تعريف مختصر له وهو انه هو " تحببب الأصل وتسبيل المنفعة "^(٢).

ووضح هذا التعريف بالقول: إن تحبببب الأصل يعني إمساك الذات عن أسباب التملكات مع قطع ملكه فيها وقوله تسبيل المنفعة أي إطلاق فوائد العين الموقوفة من غلة وثمره وغيرها للجهة المعينة^(٣) .

فضل الوقف:

ويعدّ الوقف سنة وفيه فضل عظيم واجر كبير ، وهناك أدلة كثيرة تدل على فضل الوقف واستحبابه ومن ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " أخرجه مسلم ^(٤) .

(١) محمد زايد الابياني . كتاب مباحث الوقف . ط٣ . القاهرة ، المؤلف ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ، ص٣-٤

(٢) بندر فهد السويلم " زوال ملك الواقف عن الوقف " مجلة جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٣) السابق ، ص ٤٣

(٤) السابق ، ص ٤٣

وهو خاصية ملازمة للحضارة الإسلامية عبر تاريخها الطويل ، كان بمثابة الطاقة التي دفعت بمسيرتها نحو النماء والتطور^(١) ، إذ كان للأوقاف دورها الكبير في حياة المجتمعات الإسلامية فكانت تنفق في وجوه البرّ والخير في النواحي الاجتماعية والتعليمية والعلمية والثقافية وفي تعزيز الجهاد^(٢) .

ويذكر محمد الحبيب ابن الخوجة أن العلماء والأئمة أكدوا أن الوقف نظام إسلامي لم يكن للعرب عهد به من قبل ، وينقل عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي قوله: " لم يحبس أهل الجاهلية فيما علمته داراً ولا أرضاً تبرراً بحبسها ، وإنما حبس أهل الإسلام ... " وقوله: " إن الوقف من خصائص هذه الأمة ما علمنا جاهلياً حبس داراً على ولدٍ ولا في سبيل الله ولا على مساكين " .^(٣)

المرأة والوقف:

يعود الاهتمام بالوقف كما أشار الشافعي في نصّ أوردناه سابقاً إلى فترة ظهور الإسلام ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من اسهم فيه ، ثم تبعه صحابته الكرام رضوان الله عليهم وكان للنساء نصيب طيب فيه فقد أسهمت زوجاته أمهات

(١) يحيى محمود بن جنيد . الوقف والمجتمع : نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي . الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، (سلسلة كتاب الرياض ، ٣٥) ص

(٢) عبد العزيز الدوري "دور الوقف في التنمية" في: ندوة أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم ١٤-١٦ صفر الخير ١٤١٧ - ١٤١٧/٦/٣٠ - ١٩٩٦م - ١٩٩٦/٧/٢ . لندن : المملكة

المتحدة ، عمان : المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، ١٩٩٦م ، ص ١ .

(٣) " لمح من الوقف في التنمية في الماضي والحاضر " في: ندوة أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم ١٤/١٦ صفر الخير ١٤١٧هـ - ١٩٩٦/٦/٣٠ - ١٩٩٦/٧/٢م ، ص ٥ .

المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر ، وأم سلمة ، وأم حبيبة ، وصفية بنت حُيَيِّ بن اخطب إضافة إلى ابنته فاطمة، و أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهن جميعاً في هذا الجانب الخيري الذي يُعدّ من محاسن الإسلام^(١).

وفي فترات تاريخية لاحقة أسهمت نساء كثيرات في هذا العمل الخيري ففي عام ٥٧٩هـ / ١١٨٣م وقفت أم الخليفة الناصر العباسي رباطاً في مكة المكرمة^(٢)، كما أن ست الشام بنت أيوب بن شادي المتوفية سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م كانت من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء ، ومن أشهر ما وقفته المدرسة الشامية البرانية ، والمدرسة الشامية الجوانية ، وكلاهما في دمشق وقد استفاد من هاتين المدرستين كثير من طلاب العلم الذين درسوا فيهما ، كما درس فيهما أعلام من أبرز علماء الإسلام^(٣).

واشتهرت الدار الشمسي (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٦م) ابنة السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول بحب الخير فكانت ذات صدقة ومعروف و مآثرها كثيرة منها المدرسة المعروفة بالشمسية بندي عدينة من مدينة تعز ، لها وقف جيد

(١) السابق ، ص ١٢.

(٢) تقي الدين محمد بن أحمد أحسن الفاشي المكي (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين. تحقيق محمد حامد الفقهي ، ط٢. بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ١/١٨

(٣) عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)// البداية والنهاية . ط٢. بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٧٧م ، وعبد القادر بن محمد التميمي الدمشقي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١م) الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسيني ، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٨٨م ، ١/٢٧٧-٣٠٢.

على إمام ومؤذن وقيم ومدرس وطلبة ومعلم وأيتام يتعلمون القرآن ، وابتنت مدرسة في زيد معروفة بالشمسية أيضا؛ أوقفت عليها أيضا وقفاً جيداً بكفاية المرتبين فيها^(١). ومنهن أيضاً مريم (ت ٧١٣هـ / ١٣١٣م) ابنة الشيخ الشمس بن العفيف وكانت زوجة السلطان الملك المظفر من ملوك الدولة الرسولية في اليمن ، التي بنت مدرسة في زيد تعرف بالسابقية ومدرسة مريم كانت من احسن المدارس وضعاً ، رتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن ، ومدرسا للفقهاء على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ومعيداً وطلبة وأوقفت على الجميع وقفاً جيداً يقوم بكفائتهم ، كما بنت مدرسة أخرى في تعز ووقفت عليها وقفاً جيداً^(٢).

كما أسهمت نبيلة(ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) وهي ابنة الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول ببناء مدرسة في زيد عرفت بالاشرفية ووقفت عليها أوقافاً تقوم بكفاية العاملين فيها^(٣).

ومن المساهمات في الوقف أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين الطبري التي وفت رباطاً في مكة سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ، وأم القطب القسطلاني التي وفت رباط السياحة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي^(٤). وتحفل المصادر التاريخية بأسماء كثيرة يضيق هذا المجال بذكرها، يتبين لنا من مجملها أن المرأة المسلمة شاركت في هذا المجال الخيري المؤثر في تطور الحضارة الإسلامية بنصيب وافر.

(١) محمد بن الحسن الخزرجي/ كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية تحقيق محمد

بسيوني عسل. القاهرة : مطبعة الهلال ، ١٣٢٩هـ / ١٩١١م. ٢٩٣/١.

(٢) السابق ، ٤٠٨ / ٨

(٣) السابق / ١ - ٤٢٩ - ٤٣٠

(٤) الفاشي ١٢١/١

إسهام المرأة في نجد في مجال الوقف:

وفي العصر الحديث أسهمت مجموعة من النساء في شبه الجزيرة العربية وفي منطقة نجد على وجه الخصوص في فعل الخير عن طريق الوقف، وهناك وثائق كثيرة تخص ما قدمته في مدينة واحدة وهي أشيقر منها وثيقة مختصرة نصها : " أوصت هيا بنت عبد العزيز بن عبد اللطيف لها بضحية دوام في ثلث ما تخلف والوكيل ابنها إبراهيم شهد به أخوي الواقفة عبداللطيف وعبد الرحمن ، وشهد به وكتبه عم الواقفة محمد ابن عبد اللطيف بتاريخ النصف من شهر رمضان المعظم من سنة ١٢٧٤هـ ونقله من خط محمد ابن عبد اللطيف حرفاً بحرف من غير زيادة ولا نقصان إبراهيم بن عبد الله بن مسند" (١).

وتوضح وثيقة أخرى دور المرأة في الفعل الخيري من خلال الوقف جاء نصها كما يأتي: " الحمد لله سبب ذلك هو انه قد شهد راشد بن محمد بن منصور وابنه محمد بلفظ الشهادة الخاص لقد أقرت سلمى بنت أحمد بن عبد الرحمن بن منصور في حال جواز صدور الإقرار منها شرعاً لقد وقفت وسبّلت ملكها من الحويط المعروف المشهور المسمى بالمقيلب الشارب من بئر الغطفا أرض ملكها منه ونخله وملكها من ذلك الحويط نصف أرضه وربع نخله وفي شهادة الشاهدين المذكورين أن ذلك في ملكها عارفة به يومئذ وقفته وتوضع غلته سماطاً للمسلمين في شهر رمضان المعظم على علم أوقافه الموقوفة عليه توضع لهم في المسجد هكذا شهد الشاهدان المذكوران على الواقفة المذكورة بصفة ما ذكرنا وشهد على إقرار الواقفة المذكورة بوقف ذلك على تلك الجهة وكتبه كله وحرره وقرره احمد بن محمد بن حسن ونقله من خط

(١) من وثائق البسمي في أشيقر. الشكل (١)

كاتبه حرفاً بحرف عبد العزيز بن عبد الله بن عامر وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم" (١).

ولا شك أن النصين السابقين يوضحان بجلاء مدى إسهام المرأة في منطقة نجد في الوقف الخيري وإن ذلك ليس بالأمر المستغرب بل هو استمرار لدورها في التاريخ الإسلامي حيث كانت تعين مجتمعها بكل ما تستطيع فعله وفقاً لما هو متيسر لها .

المرأة ووقف الكتب:

أما فيما يخص دورها في وقف الكتب فإن النصوص التاريخية المتناثرة تظهر إن مشاركة المرأة في هذا الجانب قديمة في التاريخ الإسلامي ، فقد وقفت زوجة الخليفة المستعصم أم ولده أبي نصر المعروفة بباب بشير ، المدرسة البشيرية في بغداد وجعلتها للمذاهب الأربعة ووقفت عليها خزانة كتب تفرقت بدهداً لا يعرف منها غير المجلد الخامس من تفسير القرآن المسمى العيون والنكت للماوردي وهو ضمن خزانة آل باش أعيان العباسي في البصرة ، وعلى ظهر أول صحيفة منه وقفية جاء في أولها: " هذا ما وقفه وتصدق به الجهة الشريفة المكرمة المقدسة الزكية المعظمة السيدة الكبيرة الرضية الأمانة جهة سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله أمير المؤمنين... وأمرت أن تكون بالمدرسة الميمونة التي أمرت بإنشائها... " (٢).

(١) من وثائق ديوان أوقاف الصوام بأشيقر المحفوظة لدى عبد الله بن عبد العزيز العياض.

الشكل (٢)

(٢) يحيى محمود بن جنيد (الساعاتي). الوقف وبنية المكتبة العربية استنباط للموروث الثقافي.

الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٨٤.

ومن اللاتي وقفن كتباً فاطمة بنت حمد الفضيلي الحنبلي الزبيرية المعروفة بالشيخة الفضيلية ، ولدت في الزبير قبل عام ١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م ، ونشأت بها وقرأت على شيوخها ، وكانت لها عناية بجمع الكتب مما مكنها من جمع كتب كثيرة في شتى الفنون ، ثم تركت بلدتها الزبير وأقامت في مكة المكرمة ، وحظيت بمكانة كبيرة بين علمائها ، ولعل من أهم مآثرها أنها وقفت جميع كتبها على طلبة العلم من الحنابلة وجعلت الناظر أحد معارفها وهو من بلدة الزبير الشيخ محمد الهديبي ، وظلت الكتب لديه إلى أن قرر الانتقال إلى المدينة فتورع عن إخراجها من مكة فتركها عند خادمها شائعة بنت النجار وأولادها ثم أرادت شائعة الخروج أيضا إلى المدينة فأشير عليها بأن تبقى الكتب الموقوفة في مكة إلا أن أولادها قالوا إن الواقعة لم تشترط ذلك فأخذوها معهم ، وبعد وفاتهم تفرقت تلك الكتب ، وكانت فاطمة الزبيرية قد توفيت في مكة المكرمة سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م^(١) ولاشك إنها تعد أنموذجا من نماذج المرأة المعطاء التي أسهمت بإشاعة العلم ونشره بالتدريس ومن خلال إتاحة الكتب لطلاب العلم.

المرأة ووقف الكتب في منطقة نجد:

أما فيما يخص إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد فإن من أقدم النصوص التي توضح إسهامها في هذا المجال وقفية كتاب القواعد وتحريير الفوائد

(١) عبد الله مرداد أبو الخير (ت ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م) / المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة ، اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي واحمد علي ، . ط ٢ - جده : عالم المعرفة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

لابن رجب الحنبلي الذي وقفته أم علي بن عشري عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م ونص الوقفية هو " بسم الله الرحمن الرحيم قد وقفت وحبست المرأة الصالحة التقية المكرمة أم الشيخ علي بن عشري هذا الكتاب على علماء الحنابلة وجعلت الناظر على ذلك عبد الله بن حمد إلا إن عاش الشيخ علي بن صالح فهو أحق به حرر سنة ١٢٤٧هـ في جمادى الأولى ، كتبه وشهد به عبد الله بن حمد"^(١).

والنسخة الموقوفة من هذا الكتاب يعود تاريخ نسخها إلى عام ١٨٦١هـ / ١٤٥٧م ولا شك أن توفيرها لطلبة العلم في ذلك الزمن كان عملاً جليلاً لصعوبة الحصول على مثل هذا النوع من الكتب في منطقة نجد ، وقد أشار ابن حميد إلى أم العشري ضمن ترجمته لعلي بن محمد الراشد المتوفى سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م فقال " لما توفي الشيخ علي بن عبد الله ابن عيسى بن عشري أوقفت والدته كتبه وجعلت الشيخ علياً قيماً عليها"^(٢).

ونستنتج من النص السابق أن أم العشري وقفت كتباً أخرى غير كتاب الفوائد. ومن الواقعات الأخريات : والدة علي بن محمد الراشد السابق ذكره أشار إلى ذلك ابن حميد بقوله: "ومن الموقوفات والدة علي بن محمد الراشد وهو من تلاميذ عبد الله بن عبد الرحمن البابطين تولى قضاء عنيزة ورحل إلى الزبير وقرأ على فقهاءها وكان حريصاً على اقتناء الكتب فقد رأيت تملكه على كثير منها..."^(٣). ويظهر

(١) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية وهي من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل (٣)

(٢) محمد بن عبد الله بن حميد النجدي المكي (ت ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م) / السحب الوابله على ضرائح الحنابلة تحقيق بكر عبد الله أبو زيد وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين . بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ٢٧/١ .

(٣) السابق ، ٢٧/١ .

النص أن والدة الراشد كانت من أسباب توجه ابنها نحو العلم ولعلها هي التي غرست في داخله حب الكتب وبالتالي حب العلم والحرص على طلبه.
ومنهن أيضا سارة بنت الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب ، وهي من نساء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي وسليمة بيت علم وفضل وقفت نسخة مزخرفة خزائنية نفيسة من الجزء الثالث من شرح صحيح مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ولعلها وقفت غيره ، وقد جاء نص الوقفية على هذا الكتاب كما يأتي: "وقفت هذا المجلد سارة بنت الشيخ علي وجعلت [...] فيه تحت يد عبد الله [...]".^(١)

وهناك وقفية أخرى نرجح أن تكون لسارة بنت علي بن محمد بن عبد الوهاب، ولا نجزم بذلك نظراً لوجود كشط بين كلمتي (بنت) و (الشيخ) ، ونص الوقفية هو: "وقفت وحبست هذا الكتاب لله تعالى سارة بنت [...] الشيخ ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾".^(٢)

وجاء نص هذه الوقفية على كتاب الاستنباط للشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٣).
ولو رغبتنا في تحديد تاريخ هذه الوقفية فإننا نرجح أن تكون في منتصف القرن الثالث عشر الهجري استناداً على الفترة الزمنية التي عاشتها سارة^(٤).

(١) نسخة محفوظة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الشكل (٤)

(٢) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

(٥)

(٣) السابق .

(٤) الحربي ، دلال بنت مخلد . نساء شهيرات من نجد . الرياض: دار الملك عبد العزيز ،

١٤١٩ هـ ، ص ١٠٠ - ١٠٣ .

وكان لمجموعة من أميرات آل سعود ونساء من اسر شهيرة دور مميز في الوقف الخيري عن طريق توفير الكتب لطلبة العلم وهو ما يؤكد حرصهن ورعايتهن للحركة العلمية جنباً إلى جنب مع مجموعة من الأمراء والعلماء الذين اشتهروا بالحرص على إشاعة العلم والبحث عن الكتب خاصة الدينية منها لتكون بين أيدي طلابه من غير القادرين على شراء الكتب لغلاء أثمانها وصعوبة الحصول عليها ، واقدم وقفية رأيناها توضح دورهن ما دون على كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ونص ذلك كما يأتي: " بسم الله الرحمن الرحيم يعلم الناظر إليه والواقف عليه أن هذا الكتاب أوقفته لرجاء الأجر والثواب نورة بنت الإمام فيصل بن تركي على طلبة العلم من المسلمين لا يمنع منه المنتفع، اعظم الله لها الأجر في ذلك وتقبله وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ١٩ جمادى الأولى ١٢٧٦هـ"^(١).

ويبين النص أن هدف الأميرة نورة كان البحث عن الثواب والأجر من الله من خلال هذا العمل الذي أتاحت من خلاله لشريحة من المجتمع الانتفاع من كتاب مهم لعله لم يكن متواخراً بين أيديهم قبل أن تقوم بوقف هذه النسخة .

كما وقفت في عام ١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م نسخة من كتاب الروض المربع شرح زاد المستنقع لمنصور بن يونس البهوتي ونص وقفيتها كما يأتي: " يعلم الناظر إليه والواقف عليه بان المحترمة نورة بنت الإمام فيصل أوقفت هذا الكتاب المسمى بالمقنع على طلبة العلم ومن أراد إن يستفيد منه إذا لم يحصل بإعارته ضرر تقبل الله منها

(١) نسخته محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

وضاعف الأجر والثواب لها انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم وذلك في ٣٠ شعبان ١٢٧٦هـ^(١).

(١) نسخة محفوظة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ووقفت كتاباً آخر هو صحيح البخاري في مجلدين ، وخصت بالوقف حمد بن عبد العزيز بن محمد [...] ومن المعروف انه في مثل هذه الحالات من الوقف لا يعني تحديد الاسم أن تقتصر الاستفادة منه على الموقوف عليه بقدر ما يكون هو الناظر والقيم على حفظه وإتاحته للآخرين ، ونص وقفيتها هو: " بسم الله الرحمن الرحيم لقد وقفت وحبست نورة بنت الإمام فيصل هذا الكتاب على العبد الفقير إلى ربه حمد بن عبد العزيز بن محمد [...] سنة ١٢٧٧هـ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم [...]" (١).

ووقفت أيضاً نسخة من الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري وورد النص كما يأتي: " بسم الله الرحمن الرحيم ، يعلم من يراه أن نورة بنت الإمام فيصل بن تركي حفظها الله تعالى أوقفت هذا الكتاب المبارك لوجه الله تعالى أوقفته طلباً للثواب من رب الأرباب وعملاً بحديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه أن الله سميع عليم ﴾ ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم سنة ١٢٧٨هـ" (٢).

كما وقفت في عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م نسخة من كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ونص وقفيتها كما يأتي: " بسم الله الرحمن الرحيم ، أوقفت وسبلت وحبست نورة بنت الإمام فيصل بن تركي رحمه الله وعفى عنه هذا

(١) نسخته محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

(٧)

(٢) نسخته محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

(٨)

الكتاب المسمى بإغاثة اللفهان لله تعالى وقفاً مؤثلاً لا يباع ولا يوهب ولا يرهن وجعلت الولاية فيه لموسى بن محمد ابن مرشد وبنيه من بعده لا ينزع منهم ولا يتعرض لهم فيه ، شهد على ذلك حسين بن تميم وعثمان بن إبراهيم وكتبه شاهداً به عبد الله بن حسين المخضوب مصلياً مسلماً على محمد وعلى آله وصحبه وسلم سنة ١٢٨٣هـ .^(١)

وفي نهاية الوقفية نجد ختماً باسم عبد الله بن حسين المخضوب. ويلاحظ أن هذه الوقفية حملت عبارات مختلفة بعض الشيء عن بقية الوقفيات من ذلك أنها بدأت باستخدام ألفاظ الوقف (وقف وسبل وحبس) مترادفة ، كما أنها استخدمت عبارة مصلياً مسلماً وهو ما لم نقف على نظيره في الوقفيات الأخرى. وشاركتها في فعل الخير والحرص عليه عن طريق وقف الكتب عمتها الجوهرة بنت الإمام تركي بن عبد الله آل سعود فكان أن وقفت في عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م نسخة من كتاب أقسام القرآن والكلام عليه لابن القيم ، ونص وقفيتها كما يأتي: "يعلم الناظر إليه أن الجوهرة بنت تركي بن عبد الله بن محمد السعود وقفت هذا الكتاب لوجه الله تعالى طلباً للثواب من رب الأرباب لا يباع ولا يرهن ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه أن الله سميع عليم ﴾ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ٢٩ [...] سنة ١٢٨١هـ" ^(١).

ووقفت أيضاً نسخة من كتاب العلو للعلي في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمتها لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي في السنة التي وقفت فيها الكتاب السابق ، وجاء نص وقفيتها كما يأتي: "يعلم من يراه بأن الجوهرة بنت تركي بن عبد الله السعود وقفت

(١) نسخته محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

هذا الكتاب طلباً للثواب من رب الأرباب لا يباع ولا يرهن ﴿ فمن بدله بعدما سمعه
فإنما إثمه على الذين يبدلونه أن الله سميع عليم ﴾ وصلى الله على محمد ٢٩ [...] سنة ١٢٨١ هـ^(٢).

ووقفت الجوهرة أيضاً كتابين لم يحدد عليهما تاريخ وقفهما أولهما رفع الملام
عن الأئمة الإعلام لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمیه وجاء نص الوقفية: " هذا ما وقفت
الجوهرة بنت الإمام تركي لوجه الله ترحو بذلك ثواب الله "^(٣).
ويبدو أنها وقفته بعد عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م ، إذ أن النسخة تحمل تاريخ
تملك عليها باسم حمد ابن عبد العزيز [...] ولعلها اشترته منه بعد ذلك التاريخ ومن
ثم وقفته.

أما الكتاب الآخر فهو شرح حديث معاذ بن جبل لابن رجب الحنبلي ، ووردت
الوقفية كما يأتي: " هذا ما وقفت الجوهرة بنت الإمام تركي لوجه الله ترحو بذلك ثواب
الله "^(٤) ولتشابه نص هذه الوقفية مع سابقتها ، وكذلك لتشابه الخط فإننا نذهب إلى
أنها وقفته كما السابق بعد عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م.

-
- (١) نسخه محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل (١٠)
 - (٢) نسخه محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل (١١)
 - (٣) نسخه محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل (١٢)
 - (٤) نسخه محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل (١٣)

وشاركت أميرة أخرى في هذا المجال وهي الأميرة سارة بنت الإمام تركي بن عبد الله آل سعود فوقفت في عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م نسخة من فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ويحتوي نص الوقفية على معلومة تدل على أنها اشترت الكتاب من شخص يدعى عيسى بن مفتاح ، ومن ثم وقفتها على طلبة العلم في مدينة الرياض، ونص الوقفية طويل نورده فيما يأتي: "بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده انتقلت هذه النسخة المباركة من ملك عيسى بن مفتاح إلى ملك الحرة المصونة سارة بنت الإمام تركي بن عبد الله آل سعود وقد أوقفها لوجه الله تعالى على طلبة العلم في بلد الرياض وفقاً صحيحاً لا يباع ولا يوهب ولا يرهن ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه أن الله سميع عليم ﴾ وصلى الله على محمد [...] سنة ١٢٨٦" (١).

كما أسهمت في هذا الجانب الخيري الموجه إلى دعم العلم والدة الإمام عبدالله ابن فيصل بن تركي وشقيقة محمد بن فيصل بن تركي ، وهي منيرة بنت مشاري ابن حسن آل سعود فوقفت نسخة من كتاب تطهير الاعتقاد من ادران الإلحاد لمحمد ابن إسماعيل الصنعاني ، وذلك في سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م ، وجاء نص الوقفية كما يأتي: " يعلم الناظر إليه أن حسين بن نفيسه شهد عندي بان منيرة بنت مشاري أقرت عنده بأنها وقفت هذا الكتاب الشريف على يد ابنها محمد بن فيصل ليكون معلوماً

(١) نسخته محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

عند من نظر إليه ، كتب شهادته عن أمرها عبد العزيز بن صالح بن مرشد وصلى
الله على محمد وصحبه وسلم سنة ١٢٨٦هـ^(١).

وإذا كانت الوقفيات السابقة تمثل نماذج من إسهام أميرات آل سعود في وقف
الكتب في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي فإن هناك مشاركات
لهن جاءت عقب ذلك، فقد وقفت الأميرة الجوهرة بنت الإمام فيصل بن تركي مجموعة
من الكتب في عام ١٣١٨هـ / ١٩٠١م ، وفي ذلك العام كانت الرياض في يد آل
الرشيد ، ومع ذلك فإن الأميرة الجوهرة ظلت وفيه لمدينتها لم يمنعها زوال حكم أسرتها
من الاستمرار في فعل الخير فكان أن وقفت كتاب حادي الأرواح لابن قيم الجوزية ،
ونص الوقفية هو : " وقفته الفقيرة إلى الله سبحانه الجوهرة بنت الإمام فيصل على من
ينتفع به من المسلمين لوجه الله تعالى ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على
الذين يبدلونه أن الله سميع عليم ﴾ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم جرى
ذلك سنة ١٣١٨هـ^(٢).

وفي عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م وقفت الأميرة الجوهرة بنت مساعد بن جلوي ابن
تركي آل سعود نسخة من كتاب الترغيب والترهيب من الحديث للإمام زكي الدين عبد
العظيم بن عبد القوي المنذري (الجزء الأول) ونص وقفيتها: " لقد أوقفت هذا الكتاب
الفقيرة إلى الله الجوهرة بنت مساعد بن جلوي لوجه الله تعالى ورجاء لثوابه على طلبه
العلم ، ومن كان عنده فلا يحبسه ولا يمنع من أراد القراءة فيه ويتحفظ عليه من

(١) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

(١٥)

(٢) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

(١٦)

الخلل ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ، حرر سنة ١٣٣٧ هـ^(١).

ومن نساء الأسر الشهيرة في نجد اللاتي كان لهن إسهام ومشاركة في فعل الخير ودعم المجتمع عن طريق وقف الكتب حفيدة سليمان بن عبد الوهاب - شقيق الشيخ محمد بن عبد الوهاب - وهي الجوهرة بنت عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب إذ تسنى لنا الاطلاع على وقفيتين لها الأولى في عام ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧م على نسخة من سنن أبي داود لسليمان ابن الأشعث الأزدي السجستاني ، ونص الوقفية كما يأتي : " بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد فليعلم الواقف عليه والناظر إليه إن الجوهرة بنت الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب قد وقفت وحبست هذا الكتاب لابنها محمد بن حسن الباهلي رحمه الله رحمة الأبرار ووقاه عذاب النار لا يمنع أحد أراد الانتفاع به ولا يُغار أكثر من أربعة اشهر وجعلت النظر على ذلك للمكرم إبراهيم بن عبد الرحمن بن طوق، والمكرم عيسى بن عبد الله بن عكاس ومن غاب عنهما فالنظر يكون لمن حضر ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ حرر في ١٣ ربيع ثاني ١٢٩٤ هـ^(٢).

أما الوقفية الأخرى فجاءت على نسخة من كتاب الإكمال في رفع عارض الارتياح عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكُنَى والأنساب لمؤلفه ابن ماکولا أبي

(١) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

(١٧)

(٢) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

(١٨)

نصر علي بن هبة الله بن علي في عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ونصها: " ليعلم الناظر إليه أن الجوهرة بنت الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب قد وقفت هذا الكتاب لابنها محمد بن حسن الباهلي رحمه الله على طلبة العلم لا يمنع من أراد المطالعة فيه ولا يُعَار أكثر من شهرين وجعلت النظر في ذلك للمكرم إبراهيم بن عبد الرحمن بن طوق ولعيسى بن عبد الله بن عكاس ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ٨ شوال ١٢٩٥هـ^(١).

ويتبين لنا من الوقفتين أن الجوهرة وقفت الكتابين على ابنها محمد بن حسن الباهلي بعد وفاته ومثل هذا العمل يراد به إجراء الثواب على روح الميت ، كما نلاحظ أن كتاب الإكمال كان في الأصل في حوزة ابنها محمد بن حسن الباهلي نفسه وقد ورد نص الملكية كما يأتي: " قد انتقل هذا الكتاب إلى حوزة الفقير إلى الله محمد بن حسن الباهلي بالابتياح الشرعي شهد على ذلك احمد بن حمد الرحباني وكتبه شاهداً به الفقير إلى الله عبد الله بن حسين المخضوب مصلياً مسلماً على محمد وعلى آله وصحبه ، ٢٦ محرم ١٢٨٦هـ "^(٢).

كما يلاحظ من الوقفتين أن الواقعة أجازت إعارة الكتابين وان كان هناك اختلاف في المدة المحددة لإعارة كل منهما فالأول سمحت بإعارته لأربعة اشهر في حين سمحت بإعارة الآخر مدة شهرين ، وفي هذا دون شك تسهيل لطلاب العلم.

(١) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

(١٩)

(٢) السابق.

ومن اللاتي اسهمن في وقف الكتب من نساء الأسر الشهيرة في نجد الأميرة حصة بنت أحمد بن محمد السديري والدة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز التي وقفت نسخة من المجلد الثاني من كتاب الفروع في الفقه لمحمد بن مفلح الحنبلي، وهي نسخة مهمة إذ يعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٣٧٨ هـ / ١٧٨٠ م وقد تناقلها مجموعة من الأعلام منهم إبراهيم بن صالح بن عيسى ، وجاء نص وقفيتها كما يأتي : " قد دخل هذا الكتاب في ملك حصة بنت أحمد السديري بالشراء الشرعي وأوقفته على طلبة العلم لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وجعل النظر فيه لعبد العزيز بن فائز ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾" (١).

ويلاحظ انه لم يثبت تاريخ الوقف، وإن كنا نذهب إلى أنها وقفته في أواخر الخمسينات الهجرية من القرن الرابع عشر الهجري.

ولم يقتصر الإسهام في وقف الكتب في منطقة نجد على أميرات آل سعود ونساء من أسر شهيرة بل تعداه إلي نساء أخريات من طبقات مختلفة ففي عام ١٢٨١ / ١٨٦٤ م وقفت هيا بنت محمد بن حمد نسخة من كتاب إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان لأبن قيم الجوزية ونص الوقفية كما يأتي : " يعلم الناظر إليه بأن هذا الكتاب وقف لوجه الله لا يباع ولا يرهن ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على

(١) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل

الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴿١﴾ وصاحبة الوقف هيا بنت محمد بن حمد وصلى
الله على محمد وآله وصحبه سنة ١٢٨١ هـ^(١).

كما وقفت لطيفة بنت إبراهيم أبا الغنيم نسخة من كتاب حادي الأرواح إلى بلاد
الأفراح لأبن قيم الجوزية ، ونص وقفيتها كما يأتي: " لقد وقفت هذا الكتاب وهو
المسمى حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح وقفته أنا لطيفة بنت إبراهيم أبا الغنيم على
ذريتي فان عدموا فعلى احمد بن يحيى وذريته كتب هذه الأحرف عبدالعزيز بن عثمان
بن ناظم على كتب ما لقيت في الورقة الذي قدامه والله اعلم بالصواب وعنده علم
الكتاب "^(٢).

وهذا النص هو نقل لنص آخر يقف عند " فان عدموا فعلى احمد بن يحيى
وذريته "^(٣). ولا يوجد تاريخ لهذه الوقفية. وان كنا نرجح أنها من أواخر القرن الثالث
عشر الهجري.

وفي غير مدينة الرياض أسهمت نساء أخريات في الوقف ففي حائل على سبيل
المثال أسهم عدد كبير من النساء في دعم الحركة العلمية فيها فوقن الكتب طلباً
للأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى ومساندة لطلبة العلم كي يتوفر لهم ما يساعدهم
على توسيع مداركهم ويضيف إلى معلوماتهم ، ففي عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢م وقفت

(١) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل
(٢١)

(٢) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل
(٢٢)

(٣) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل
(٢٣)

دليل بنت طلال^(١) نسخة من تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ، ونص وقفيتها هو : " قد أوقفت وحبست هذا الكتاب دليل بنت طلال لوجه الله الكريم لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ وصلى الله على محمد سنة ١٣٠٠" (٢).

كما وقفت الأميرة خنساء الرشيد في عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م نسخة مطبوعة في المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م من كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني وجعلت الوقف على روح أبنيتها الجوهرة بنت عبد العزيز آل جبر ، ونص الوقفية كما ورد على الجزء الثالث وكذا الخامس من الكتاب هو: " يعلم الناظر فيه بأن هذا الجزء هو وما قبله وما بعده قد صح وقفه لوجه الله تعالى وثوابه يصل إن شاء الله تعالى إلى روح الجوهرة بنت عبد العزيز آل جبر والنظر لصالح بن سالم وهو وقف صحيح لا يوهب ولا يباع ولا يبدل ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ وقد كتبه صالح بن سالم ، ثم شاهدها به وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ٢٥ محرم ١٣٠٧" (٣).

ونص الوقفية السابقة فيه ما يظهر إن وقف الكتب اتخذ وسيلة من وسائل التقرب إلى الله وطلب الرحمة والمغفرة للأموات فالوقفية هي من قبيل عمل البر من أم مكلومة على ابنتها التي توفيت في حياتها.

(١) رجحت الباحثة أن تكون دليل بنت طلال من نساء حائل لأنها تذهب إلى أنها من آل رشيد لأن اسم طلال لم يكن مستخدماً بين آل سعود.

(٢) نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية من مجموعة مكتبة الرياض السعودية. الشكل (٢٤)

(٣) نسخة محفوظة في مكتبة آل صالح البنيان في حائل. الشكل (٢٥)

وفي عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م وقفت نورة مولاة محمد بن عبد الله بن رشيد كتاباً وجاء نص الوقفية عليه كما يأتي: " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم يعلم الناظر فيه بأن هذا الكتاب قد وقفته لوجه الله تعالى راجية ثوابه نورة مولاة محمد بن عبد الله الرشيد على طلبة العلم المستحقين له وجعلت الناظر عليه كاتب الأحرف صالح بن سالم آل بنيان وصلى الله على محمد أولاً وأخيراً ٢٥ شهر محرم سنة ١٣١١ هـ" (١).

وفي عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م أسهمت طريفة بنت عبيد بن علي بن رشيد في مساندة العلم وطلابه من خلال وقف الكتب حيث وقفت كتاب الفواكه العذاب في الرد على من لم يُحْكَم السنة والكتاب لأحمد بن ناصر بن عثمان ، وجاء نص وقفيتها كالتالي : " يعلم من يراه بان هذا الكتاب المسمى بالفواكه العذاب والذي يليه وقف لله لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يبذل ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين يبدلونه أن الله سميع عليم ﴾ وثوابه لطريفة بنت عبيد الرشيد رحمها الله تعالى ، وكان الوكيل القائم على ذلك ابن أخيها ضاري الفهيد ، وجعل النظر له مدة حياته ثم الصالح من ذريته بعده ، ومن بعدهم على طلبة العلم في بلد حائل ، شهد بذلك الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد ، و شهد به وكتبه ابنه عبد الرحمن ، والله خير الشاهدين ، حرر في ٢١ جمادى ١٣١٤ هـ" (٢).

و يتبين من النص السابق أن طريفة توفيت قبل وقف هذا الكتاب ، ومن المرجح أنها أوصت بذلك ، وهذا ليس بمستغرب عليها فقد كان والدها محباً للعلم

(١) نسخة محفوظة في مكتبة آل صالح البنيان في حائل. الشكل (٢٦)

(٢) نسخة محفوظة في مكتبة آل صالح البنيان في حائل. الشكل (٢٧)

حريصاً على جمع الكتب ووقفها ، أسس مكتبة عهدها أبنائها من بعده حتى غدت حافلة بأمهات الكتب المطبوعة والمخطوطة^(١).

كما أن زواجها من الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي ، ثم أخيه محمد^(٢) ساعد على توجهها لأنهما عرفا بحب الكتب و أبديا اهتماماً ملحوظاً بوقفها على طلبه العلم^(٣).

ولم يكن هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي وقفته فقد ذكر صالح السالم البنيان في بعض أوراقه عدد ممن وقفن عليه كتب فذكر عدد من نساء الأسرة الحاكمة آنذاك وسيدات المجتمع في حائل وكان من أبرزهن طريفه بنت عبيد بن رشيد^(٤).

ومن اللاتي وقفن الكتب على طلبه في حائل شما بنت حسن الدوخي ، إذ وقفت كتاباً من مطبوعات الهند موضوعه في تخريج أحاديث بعض كتب الفقه ، ونص وقفيتها : " الحمد لله وحده وسلم على محمد ، أما بعد فإن هذا الكتاب وقفته وحبسته على طلبه العلم الرشيدة شما بنت حسن الدوخي وقفاً صحيحاً لا يوهب ولا

(١) العثيمين ، عبد الله الصالح . نشأة إمارة آل رشيد . ط ٢ . الرياض : مطابع الشريف ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ١٨٦ وهامشها ، معلومة مستقاة من صالح العلي الصالح . حائل . العريفي ، احمد الفهد . قضاة مدينة حائل (١٢٠٠-١٣٤٠هـ) . الرياض : مطابع الجسر ، د.ت. ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) الحري ، ص ١٢٤-١٢٧ .

(٣) " تمليكات ووقفات آل سعود على المخطوطات المنقولة من مكتبة الرياض السعودية إلى مكتبة الملك فهد الوطنية " أخبار المكتبة ، ع ٧ (المحرم ١٤١٦هـ/ يونيو ١٩٩٥م) ص ٣ .

(٤) العريفي ، ص ٢٥ .

يورث ولا يباع ولا يبدل ، والناظر عليه صالح بن سالم وبعده المصلح من طلبة العلم
وصلى الله على محمد أولاً وأخراً ١٣١٧ هـ" (١).

وشاركت بنتان لعوض بن محمد وهو من أهل حائل مع أمهما في وقف كتب
كثيرة ورثتها عنه ، وعادة ما يرد نص الوقف على ما وقفه هكذا: "وقف بنات عوض
رقية وشما وأمهن على طلبة العلم وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم" (٢)
، ويعود تاريخ الوقف إلى حوالي عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، وفي سجل خاص محفوظ
في مكتبة آل صالح البنيان بحائل سردت عناوين وقياسات بنتي عوض وأمهما ، وهي
كما يأتي:

" شرح صحيح مسلم للنووي

ومجمع البحار

وميزان الاعتدال

وشرح معاني الآثار

وسنن الترمذي

وسنن ابن ماجه

وسنن الدارمي

وسيرة ابن هشام

ومقدمة ابن خلدون

وكشف الغمة

(١) نسخة محفوظة في مكتبة آل صالح البنيان في حائل. الشكل (٢٨)

(٢) هذا النص مثبت على مجموعة من الكتب المحفوظة في مكتبة آل صالح البنيان في
حائل. الشكل (٢٩).

ومتن النونية خط
وشرح السراجية
الرسالة القشرية
وسفر الهجرتين
وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام
وكتاب المدهش لابن الجوزي في الوعظ
وحاشية الصبان مجلدين
ومجموع فيه عدة نسخ
ومجموع فيه ألفية العراقي
وشرح الشاطبية
وكتاب رحمة الأمة
والداء والدواء
وكتاب الصارم المنكي
والرسالة العزية
وعمدة الفقه وعمدة الأحكام
وشرح خلاصة الفرائض
وأسماء رجال صحيح البخاري
وشرح خالد للأزهري^(١).

ويتبين من القائمة أن الكتب الموقوفة أغلبها ذات صبغة دينية ، وهي من
المتون التي كان يكثر استخدامها بين طلبة العلم في أرجاء العالم الإسلامي ، ومن

(١) سجل محفوظ في مكتبة آل صالح البنيان في حائل. الشكل (٣٠)

الكتب التي وقفها النساء وحفظت في مكتبة صالح السالم البنيان شرح صحيح مسلم في مجلدين وقفته خديجة آل عبد الله الصويتي ، وشرح للأربعين وقفته لولوه المهنا ، وسراج الروضة الندية وقفته فهيدة آل جبر ، وشرح المنتهي إلى باب الزكاة وقفته نورة مولاة محمد بن عبد الله بن رشيد كما وقفت نسخة من الطرق الحكيمة ، ووقفت بنية بنت متعب بن عبد الله بن رشيد نسخة من القاموس المحيط، ووقفت أختها رقية وفيات الأعيان لأحمد بن محمد بن خلكان وذيله فوات الوفيات في أربعة مجلدات^(١). ووقفت فاطمة بنت زامل بن سبهان نسخة مطبوعة من أسد الغابة في معرفة الصحابة في خمسة أجزاء ونص الوقفية على الجزء الأول كما يأتي : " يعلم الناظر بأن هذا الجزء الأول هو وما بعده من الأجزاء قد وقفته صاحبه على صالح السالم راجية من الله الثواب وعاملة بحديث نبينا محمد: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له بعد موته ، أو علم ينتفع به من بعده، وهو وقف صحيح لا يوهب ولا يباع ولا يبدل ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾ وصى الله على محمد وآله^(٢). وجاء على الجزء الثالث من الكتاب نفسه نص وقفية صيغتها كما يأتي : "بسم الله الرحمن الرحيم، وقف لله تعالى على طلبة العلم المستحقين له بشرط الحفظ والصيانة وفقاً صحيحاً منجزاً لا يباع ولا يرهن ولا يبدل ﴿ فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ﴾^(٣).

-
- (١) هذه الإشارات وردت في سجل محفوظ في مكتبة آل صالح البنيان في حائل. الشكل (٣١)
(٢) نسخة محفوظة في مكتبة آل صالح البنيان في حائل. الشكل (٣٢)
(٣) نسخة محفوظة في مكتبة آل صالح البنيان في حائل. الشكل (٣٣)

وفي هذا النص إشارة مهمة فقد وقفته على طلبة العلم المستحقين وشرطت على من يستخدمه الحفظ والصيانة ، وفي النص ما يدل على ربط الاستخدام بحسن التعامل مع الكتاب ، وعدم تعريضه للتلف.

خاتمة

إن المعلومات القليلة السابقة التي أوردتها هي حصيلة ما استطعت الوصول إليه ، ولا شك أن هناك معلومات أخرى لعل أكثرها مُدُون على بعض المخطوطات أو في وثائق متناثرة في المكتبات الرسمية والخاصة ، وفي كل الأحوال فإن ما تحصلت عليه يبرز أن المرأة العربية المسلمة عامة ، والمرأة التي قطنت على أرض المناطق التي تتكون منها المملكة العربية السعودية خاصة ، لم تتوان عن الإسهام والمشاركة من أجل توفير أدوات العلم لطلابها ، وأنها حرصت على أن تتيح بما تيسر لها من مال بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة لتكون بين أيدي طلبة العلم الذين لم يكن وضعهم المادي يساعدهم على الوصول إلى مثل تلك الكتب. والأمل كبير في أن تقدم النساء القادرات في عصرنا إلى إحياء ذلك الفعل الحميد فيعمدن إلى الاقتداء بما قامت به المتقدمات من مشاركة وإسهام في وقف الكتب رغم صعوبة الأوضاع في الماضي.

وتود الباحثة أن تشير هنا إلى أن نصوص هذه الوقفيات على درجة كبيرة من الأهمية لدارسي التاريخ المحلي لأنها تقدم معلومات تخص العلاقات الأسرية في منطقة نجد وتوضح الصلات بين بعض الأفراد من مثل تلك الإشارة في وقفية الجوهرة بنت عبد العزيز بن سليمان ابن عبد الوهاب إذ يظهر لنا منها أنها كانت متزوجة من حسين الباهلي وأنها أنجبت منه ابناً هو محمد بن حسن ، كما أن لهذه النصوص أهمية لدارسي اللغة إذ يمكن من خلالها تتبع أساليب الكتابة وتطور استخدام الألفاظ.

كما أن فيها ما يبرز جانباً معلوماتياً وهو العناية بالإعارة كما هو في نص
وقفية الجوهرة بنت عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب حيث نجد إشارة إلى
السماح بإعارة كتب الوقف رغبة في التسهيل على طلاب العلم.
ومن هنا فإن الباحثة توصي بأهمية دراسة مثل هذه النصوص التي لم تقف
على دراسة عنيت بهذا الجانب فيما عدا دراسة واحدة هي ليجي بن محمود بن جنيد (الساعاتي) الذي نشر في عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م في مجلة جامعة الإمام محمد
ابن سعود الإسلامية في الرياض دراسة بعنوان " دلالة النصوص الهامشية في
المخطوطات المتداولة في منطقة نجد في القرن الثالث عشر الهجري".

ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية
السعودية

٧٤٢